نبذة تاريخيّة عن القبلة في المسجد النّبويّ الشرّيف

محمّد هادي اليوسفي

من وظائف المسلمين معرفة القبلة، وهي الكعبة المعظمة في مكة المكرمة، في الحجاز، من شبه الجزيرة العربية. . فالتوجه إليها شرط في صحة صلواتهم، والتوجيه إليها شرط في حلّية ذبائحهم.

وحسب اختلاف المناطق طولاً وعرضاً وشمالاً وجنوباً تختلف القبلة اختلافاً كبيراً، وتتوقف معرفته على علم الهيئة والفلك والجغرافية.

قبلة المسجد النبوي الشريف:

ومن المعلوم في تاريخ الاسلام أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذ هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة الطيبة كان يصلي إلى المسجد الأقصى في مدينة ايليا = القدس الشريف في فلسطين من أراضي الشام، واستمر على ذلك حتى منتصف السنة الثانية بعد هجرته، حيث نزل أمين الوحي جبرئيل (عليه السلام) فحوّل الرسول في منتصف الصلاة الوسطى (الزوال) من المسجد الأقصى إلى الكعبة المعظمة في المسجد الحرام، فحوّل الرسول قبلة مسجده كذلك إلى نقطة الجنوب تماماً، من دون أي انحراف عنها.

www.noormags.com

فساد الهيئة البطلميوسية:

وفي أوائل عهد الخلافة العباسية، حيث تُرجمت كتب العلوم اليونانية إلى العربية ومنها كتب الهيئة البطلميوسية، فسادت هذه الهيئة بين الأمة الاسلامية. وكانت نقطة البدء في تعيين خطوط طول البلاد في تلك الهيئة «جزيرة فرو» من «الجُزر الخالدات».

وعليها كانوا يرون طول مكة المكرمة ٧٧ درجة و١٠ دقائق، وعرضها ٢١ درجة و ٤٠ دقيقة. وطول المدينة ٧٥ درجة و٢٠ دقيقة وعرضها ٢٥ درجة فقط. وعليه فطول المدينة أقل من طول مكة المكرمة بدرجتين و١٠ دقائق، بينما يزيد عرض المدينة على عرض مكة المكرمة بثلاث درجات و٤٠ دقيقة. وحيث أن قانون الهيئة يقتضي أن أي مدينة كان طولها أقل من مكة وعرضها أكثر منها مثل المدينة المنورة، فلا تحصل مواجهة القبلة من تلك المدينة إلّا إذا انحرفنا فيها عن نقطة الجنوب إلى جهة المشرق بازاء كل درجة من الطول ١٠ إلى ١٢ درجة بحسب اختلاف الأفق في المناطق، لهذا كانوا يحكمون بأن قبلة المدينة المنورة تنحرف عن نقطة الجنوب إلى جهة المشرق ٢٧ درجة. هذا في حين أن المحراب المبارك في المسجد النبويّ الشريف كان ولايزال مواجهاً لنقطة الجنوب تماماً من دون أي انحراف.

فالمحراب الذي عينه الرسول المعصوم وشيد تحت اشرافه، كان أمارة شرعية، وعلامة معتبرة لتعيين القبلة، دون أن يتصور فيها أي شبهة أو إشكال.

وعلى هذا فكيف يمكن لأصحاب الهيئة (البطلميوسية) من المسلمين أن يذعنوا بانحراف قبلة المسجد النبوي؟ اللهم إلّا أن يتخلوا عن عقيدتهم بعصمة الرسول الكريم!

www.noormags.com

تحقيق المحدث المجلسي في ذلك:

كانت هذه المشكلة عويصة كبرى في العصور السالفة بين علماء المسلمين، حتى إن المحدث المحقق المجلسي «رحمه الله» كان مما فرض على نفسه التحقيق في هذه المسألة: أي انحراف قبلة المدينه المنورة ومسجدها؟ وبعد تشرّفه بها عمل كل ما بوسعه من التحقيق والدراسة حول الموضوع، ولكنه لم يصل إلى أي نتيجة، فلم يتمكن من أن يوفق أو يلائم فيما بين قبلة المسجد النبوي الشريف وبين قواعد الهيئة القديمة، التي كانوا يظنونها طِلّسماً لاينكسر! وبالتالي فإنه احتمل قوياً ـ ومضطراً ـ أن تكون يد متعمدة أو مخطئة قد عملت في العمارات المتعاقبة على المسجد في زمن الخلفاء العباسيين، فحرفت القبلة عن الموضع الأصلي على عهد النبي إلى ما هي عليه اليوم ويومئذٍ. من دون أن يتصور أو يحتمل الخطأ في قواعد الهيئة والجغرافية القديمة!.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الخطأ المكتشف:

في حين أن هذا ـ أي خطأ الهيئة القديمة ـ هو الواقع والحقيقة، وقد نشأ خطأ القدماء في هذا الحكم من حيث إنهم زعموا أن طول المدينة أقل من طول مكة المكرمة، وقد أخطأوا في زعمهم هذا لأنهم لم تكن لديهم مقاييس وأدوات دقيقة لتعيين طول البلدان وعرضها، بينما علماء الهيئة والجغرافيا اليوم قد حددوا أطوال البلدان وعرضها بمقايس دقيقة حتى المتر ونصفه بل السانتيم والمليم، فعثروا ضمن ذلك على حقيقة تساوي البلدين مكة والمدينة تقريباً في خط الطول، وكان مبدأ الطول لدى القدماء «جزيرة فرو» من «الجزر الخالدات» كما مرّ؛ بينما هو لدى المتأخرين مرصد «غرينويش» في لندن، وقد حاسبوا ذلك على التقديرين، فكان طول البلدين متساوياً تقريباً كما يلي:

www.noormags.com

طولها على مبدإ جزيرة فرو: ٥٧ درجة و٥٧ دقيقة و٥ ثواني.

وطولها على مرصد غرينويش: ٣٩ درجة و٥٠ دقيقة فقط.

فعلى أيّ تقدير يكون طول البلدين متساوياً تقريباً، وحسب قواعد الهيئة تكون القبلة كما هي عليه في المسجد النبوي الشريف ومحرابه (صلّى الله عليه وآله) فيه.

وبهذا عُلم أن رأي القدماء بانحراف قبلة المسجد ومحرابه كان خطأً ووهماً! بل إن وجود هذا المسجد والمحراب أثر قيّم وشاهد كبير لاثبات علم المعصوم بالهيئة والفلك والجغرافيا والنجوم (*).

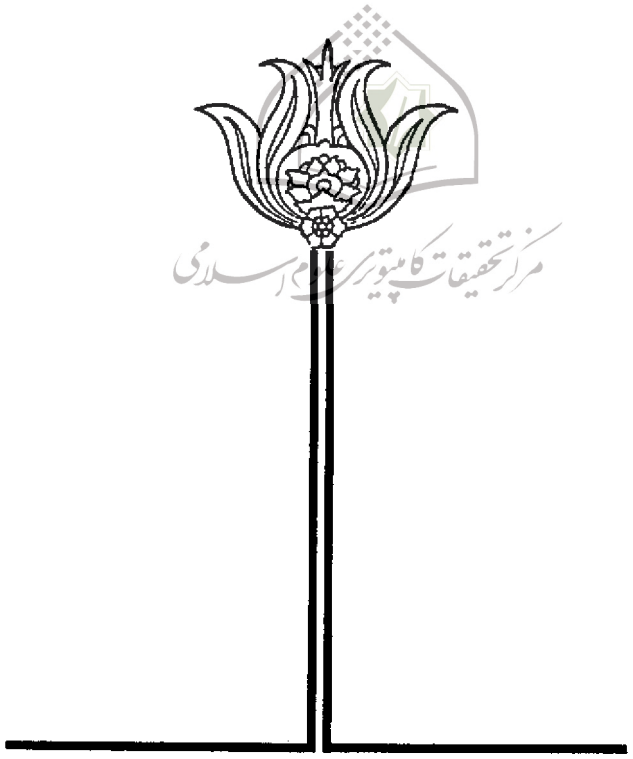

(*) أفدنا في هذه النبذة التاريخية من كتاب: حاجة الأنام إلى النبي والامام بقلم المرحوم آية الله الموسوي اللاري، وتعريب كاتب البحث.

www.noormags.com